

تاج العروس من جواهر القاموس

تقول : على ما هُوَ به مِنْ مَرَارَةِ الطَّعْمِ فَإِنَّ لَهُ مِنْ مَاءِ لَيْزَةِ عَلَى مَا هُوَ بِهِ مِنَ الْعُذُوبَةِ أَرْبَعِ شَرَبَاتٍ لِأَنَّ بَقْعَاءَ حَبِيبَةَ إِلَى إِذْ هِيَ بِلَادِي وَمَوْلِدِي وَلَيْزَةَ بَغِيضَةَ إِلَيَّ لِأَنَّ الَّذِي تَزَوَّجَنِي مِنْ أَهْلِهَا غَيْرُ مَا مُونِ عَلَيَّ . وَإِنَّمَا تِلْكَ كِنَايَةٌ عَنْ تَشَكُّبِهَا لِهَذَا الرَّجُلِ حِينَ عُنِّنَ عِنْدَهَا . وَقَوْلُهَا : لَقَدْ زَادَنِي تَقُولُ لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِبِلَادَتِي بِبَقْعَاءَ هَذِهِ . أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي تَزَوَّجَنِي مِنْ أَهْلِ لَيْزَةِ عُنِّنَ عِنْدِي فَكَانَ كَالْمَطِيَّةِ الطَّالِعَةِ لَا تَحْمِلُ صَاحِبَهَا وَقَوْلُهَا : فَمَنْ مَبْلَغُ تَرُّبِيَّيَّ الْبَيْتِ تَقُولُ : هَلْ مِنْ رَجُلٍ يُبْلِغُ صَاحِبَتِي بِالرَّمْلِ أَنْ بَعْلِي ضَعُفَ عِنْدِي وَعُنِّنَ فَأَوْحَشَنِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَكِيدَتْ حَتَّى قَرَحَتْ أَجْفَانِي فَزَالَتِ الْمَدَامِيعُ وَلَمْ يَزُلْ ذَلِكَ الْجَفْنُ الدَّامِعُ قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ قَرَأْتُهَا عَلَى أَبِي الْعَلَاءِ صَاعِدِ بْنِ الْحَسَنِ فِي الْكِتَابِ الْمَوْسُومِ بِالْفُصُوصِ . وَكَذَا فِي الْحُزْنِ وَلَكِنْ يَكْسُرُ مَا ضِيهَ مُرَادُهُ أَنْ وَجَدَ فِي الْحُزْنِ مِثْلًا وَجَدَ فِي الْحُبِّ أَيْ لَيْسَ لَهُ إِلَّا مَصْدَرٌ وَاحِدٌ وَهُوَ الْوَجْدُ وَإِنَّمَا يَخَالِفُهُ فِي فِعْلِهِ ففعل الحُبِّ مفتوح وفعل الحُزْنِ مكسورٌ وهو المراد بقوله : ولكن بكسر قال شيخنا : والذي في النصيح وغيره من الأمهات القديمة كالصاح والعين مُخْتَصِرُ الْعَيْنِ اقْتَصَرُوا فِيهِ عَلَى الْفَتْحِ فَقَطْ وَكَلَامُ الْمُصَنِّفِ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ إِنَّمَا يُقَالُ بِالْكَسْرِ فَقَطْ وَهُوَ غَرِيبٌ فَإِنَّ الَّذِينَ حَكَوْا فِيهِ الْكَسْرَ ذَكَرُوهُ مَعَ الْفَتْحِ الَّذِي وَقَعَتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْجَاهِيرِ نَعَمْ حَكَى اللَّحْيَانِيُّ فِيهِ الْكَسْرَ وَالضَّمَّ فِي كِتَابِهِ النُّوَادِرِ فَظَنَّ ابْنُ سَيِّدِهِ أَنَّ الْفَتْحَ الَّذِي هُوَ اللُّغَةُ الْمَشْهُورَةُ غَيْرُ مَسْمُوعٍ فِيهِ وَاقْتَصَرَ فِي الْمُحْكَمِ عَلَى ذِكْرِهِمَا فَقَطْ دُونَ اللُّغَةِ الْمَشْهُورَةِ فِي الدُّوَاوِينَ وَهُوَ وَهَمٌ أَنْتَهَى . قُلْتُ : وَالَّذِي فِي اللِّسَانِ : وَوَجَدَ الرَّجُلُ فِي الْحُزْنِ وَجْدًا بِالْفَتْحِ وَوَجَدَ كِلَاهُمَا عَنِ اللَّحْيَانِيِّ : حَزَنَ فَهُوَ مُخَالَفٌ لِمَا نَقَلْتُهُ شَيْخُنَا عَنِ اللَّحْيَانِيِّ مِنَ الْكَسْرِ وَالضَّمِّ فَلَيْتَأَمَّلْ ثُمَّ قَالَ شَيْخُنَا : وَابْنُ سَيِّدِهِ خَالَفَ الْجُمْهُورَ فَأَسْقَطَ اللُّغَةَ الْمَشْهُورَةَ وَالْمُصَنِّفَ خَالَفَ ابْنَ سَيِّدِهِ الَّذِي هُوَ مُقْتَدَاهُ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ فَاقْتَصَرَ عَلَى الْكَسْرِ كَأَنَّهُ مُرَاعَاةٌ لِرَدِّيهِ الَّذِي هُوَ حَزَنَ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَهُوَ قُصُورٌ وَإِخْلَالٌ وَالْكَسْرُ الَّذِي ذَكَرَهُ قَدْ حَكَاهُ الْهَجَرِيُّ وَأَنْشَدَ :

فَوَاكِبِدَا مِمَّا وَجِدْتُ مِنَ الْأَسَى ... لَدَى رَمْسِهِ بَيْنَ الْقَطِيلِ

المُشَذَّبِ